المحاضرة الخامسة: علم اجتماع الصحة

تمهيد:

يعد علم الاجتماع الصحي من أحد فروع علم الاجتماع الحديث، فالصحة ماهي إلا مؤسسة اجتماعية تستحق الدراسة نظرا لاهيتها بالنسبة للمجتمع، ففهم خدمة الصحية لا يكتمل إلا إذا تم إدراجها في سياق اجتماعي، لهذا يعتبر موضوع الصحة من أهم المواضيع الهامة وخاصة في مجال اجتماعي، لهذا ارتأينا بطرح تساؤل جاء على نحو التالي: فما هو علم الاجتماع الصحي؟ وفما تكمن أهميتها؟ وماهي أهم برواده ونظرياته؟

أولا: نشأة علم اجتماع الصحة (الطبي)

منذ العقد السابع من هذا القرن بدأ الاهتمام بعلم الاجتماع الطبي بتزايد وينضج كمجال جديد من مجالات بحوث العلوم السلوكية ومع ذلك فهو لايزال جديدا، وقد أصبح في السنوات العشر الأخيرة أكثر اختلافا عن ذي قبل بفعل الحاجة المتزايدة إليه واهتمام المجتمع بمشكلات، الرعاية الصحية، يرجع ظهوره في كل من أوروبا والو. م. أ بعد الحرب العالمية الثانية.

وفي بريطانيا تجسد مفهوم الاجتماعي للطب فاعتباره العلماء علما اجتماعيا، ولعل دراسة إديون شادويك عن أسباب الوفيات الناجمة عن الأوبئة في 1842 ودراسة جون سنو 1845 عن مرض الكوليرا في لندن مثالان يؤكدان على بلورة الاهتمام بهذا العلم.

وفي ألمانيا ظهرت دراسات عديدة في منتصف القرن 19 يشير أثر القدم النسبي للاهتمام بهذا العلم فقد ساهم فيرشو وسلامون نيومان في إرساء هذا العلم.

أما في الولايات المتحدة الامريكية لم تكن له جذور قبل الحرب العالمية الثانية، بعد 1945 ساهمت المؤسسات الخاصة والوكالات الحكومية في تمويل الأبحاث المتعلقة بهذا العلم.

وظهرت الكتابات الجادة في هذا المجال الجديد بين عامي 1950–1960، حيث خلق التحول خلالها من الزاوية الاجتماعية المصغرة (الميكرو) إلى الزاوية الاجتماعية المكبرة (الماكرو) ومن الجزئية إلى الكلية.

أما عند العرب فقد تمثل ظهوره في القدم من خلال الكتاب القدامى أمثال: الاندلسي، وابن عبد ربه، وابن قتيبية الديتوري وأين سينا والبغدادي، وانصب اهتمامهم على دراسته الجوانب الصحية والوقائية للحياة الاجتماعية.

ظهر أعقاب الحرب العالمية الثانية وترجع بداياته الأولى إلى النصف الثاني من القرن 19 وكان إنشاء أول قسم علم اجتماع الطبي في إطار الجمعية الامريكية لعلم الاجتماع لم يتم قبل 1960 وقد ظهر هذا المصطلح في القرن 20 لأول مرة واقتصرت دائرة اهتماماته على دراسة التأمينات الاجتماعية والرعاية الصحية [1].

ثانيا: عوامل ظهور علم الاجتماع الصحي

التطورات الاجتماعية التي مهدت أرضية علمية لظهور علم اجتماع الصحة والتي يمكن دراستها على 3 مواضيع الفكرة الأساسية والاهتمامات النظرية ومناهج البحث ومؤشر الوفيات يمكن اعتماد عليه في دراسة أنماط حياة، الصحة، المرض، التقليد عضوي "هاربرت سبنير" تشبيه المجتمعات بالكائن العضوي، دراسة انتحار "إيميل دوركايم"، حيث يعتبر أول في حقل الطبي والفجوة الثقافية عالم أمريكي" أوجيرن" قد اعتمد في دراسته خدمات صحية للفقراء، استخدم مور 1927 دراسة علاقة بين التغير اجتماعي والتطور خدمات صحية، دراسة ليند للمدينة الوسطى "1929–1937" تعتبر أول دراسة إمبريقيه تناولت طبقة اجتماعية ومعرفة أثر طبقة على حياة أحد مدن أمريكية إلى وجود فروق صحية في معالجة أمراض، التقليد صراعي عند ماركسين يري أن الصحة مرتبطة عضويا بالمكانة طبقية للشخص، أغنياء تتوفر لديهم العيادات، مقارنة للفقراء يموتون ويمرضون بشكل كبير [2].

(1) علي محمد مكاوي، **دراسات في علم الاجتماع الطبي**، ص ص7–13.

(2) عايد الوريكات، **علم اجتماع الطبي**، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص19.

ثالثا: تعريف علم اجتماع الصحة

1. وأحد التخصصات العلمية في علم الاجتماع يهتم بدراسة القضايا والمشكلات الصحية والطبية في المجتمع كما يهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية وتنظيمات المؤسسات الاستشفائية يرتبط ارتباط وثيق بالطب كما يرتبط بمختلف العلوم الأخرى.
2. هو تناول الميدان الصحي بوصفه نظاما اجتماعيا كذلك هو دراسة القضايا والمشكلات الصحية والطبية في مجتمع كالعلاقات الاجتماعية والتنظيمات والمؤسسات التي ترتبط وتؤثر في جانب الطبي والصحي للمجتمع.[1]
3. علم يدرس الجذور التاريخية للميدان الطب ومؤسساته وتقنياته ويدرس الصحة والمرض وأثرهما في البناء الاجتماعي.
4. علم يدرس الجذور التاريخية لصحة والأراض المختلفة ومحاولة العلاج وأنماط الحياة ويرتبط بعلم الطب وتناول الجانبي: الميادين الصحي.[2]

رابعا: موضوعات علم اجتماع الصحة

1-مفاهيم علم الاجتماع الطبي وأهدافه ومشكلاته وأبعاده ومناهجه.

2-تاريخ علم الاجتماع الطبي وأشهر رواده: كإبن رشد وإيمايل دوركايم.

3-علاقة علم الاجتماع الطبي بعلم الاجتماع وبعلم الطب.

4-التحليل الوظيفي البنيوي للمؤسسة الطبية كالمستشفى مثلا.

5-العيادة الاجتماعية طبيعتها ووظائفها وأهدافها ومشكلاتها.

6-العلاقة الإنسانية بين الممرضة والمريض، وبين الطبيب والمريض.

7-يدرس الأمراض الاجتماعية الشائعة: أسبابها ونتائجها.

8-يدرس الأمراض النفسية والعقلية والعصبية.

9-يدرس طب المجتمع وطب الأسرة مع الإشارة إلى أمراض المجتمع والأسرة وكيفية معالجتها.

(1) محمود محمد، **الصحة ودورها في المجتمع**، دار شروق لنشر، 2004، ط1.

(2) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **دراسة في علم الاجتماع الطبي**، ط1، المكتبة الجامعية الحديث، القاهرة، 1999، ص133.

10- يدرس ظهور علم الاجتماع الطبي كعلم مستقل عن علم الاجتماع والطب، وعن الفروع التخصصية علم الاجتماع مع دراسة العوامل التي أتت إلى استقلالية علم الاجتماع الطبي عن علم الاجتماع العام والطب.[1]

خامسا: خصائص علم اجتماع الصحة

1- لا يمكن تعميم نتائجه لأنه فيما صدق في مجتمع ما لا يمكن صدقه في مجتمع آخر.
2- دراسة الثقافة والسلوك الاجتماعي وكيفية تأثيرهما على الصحة الفردية.
3- دراسة المظاهر الاجتماعية للصحة والمرض وعلاقة النظم الرعاية الصحية بالنظم الاجتماعية.
4- دراسة العوامل البيئية والاجتماعية وطبيعية تأثيرها على الصحة الفرد والمجتمع. [2]

سادسا: أهمية علم الاجتماع الطبي وأهدافه

1- أهمية علم الاجتماع الطبي:

أ- له دور أساسي في دراسة قضية المدمنين على المخدرات والكحول باعتبارها أنها مرض اجتماعي.
ب- تبرز أهميته أيضا في دراسة وبحث قضايا الأسرة وخاصة تلك التي تتلاقى مع الطب.
ج- ان نظرة المجتمع للمعاقين اختلفت باختلاف الحضارة فتارة تعمل على التخلص منهم، وتارة تعمل على احترامهم ومساعدتهم.
د- إن أي ظاهرة صحية في مجتمع يجب ربطها مع العوامل الاجتماعية.
هـ- الايدز مرض العصر هو مرض اجتماعي وأخلاقي.
و- إن عادات والتقاليد المجتمع هي دراسة اجتماعية بحته تلعب دورا كبيرا في قضية نظرة المجتمع لقضايا الصحة والمرض[3] .

(1) المرجع نفسه، ص133.
(2) محمد الجوهري، **علم اجتماع الطبي**، ط1، دار المسيرة، الأردن، ص ص30-35.
(3) عبد الحميد أحمد رشوان، **دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض دراسة علم الاجتماع الطبي**، المكتبة الجامعية الحديثة، الأزريطة، القاهرة، 1999، ص133.

3-أهداف علم الاجتماع الطبي:

أ-دراسة وفحص الأسس الاجتماعية والإنسانية للنشاط الطبي لفحص التشخيص وتحديد أسباب المرض.

ب- دراسة الوسط الاجتماعي أو البيئة الاجتماعية ودورها في ظهور الأمراض الاجتماعية والنفسية.

ج- التعرف على العلاقة بين طبيعة والبيئة التي تعيش فيها الانسان وأثر المجتمع.

د-إنشاء فكرة العيادات الاجتماعية التي أخذت تنتشر في عدة المجتمعات.

هـ- التعرف على أسبابها كيفية تقوية أواصرها.

و- التعرف على كيفية تفعيل المؤسسات الصحية.[1]

سابعا: النظريات علم اجتماع الصحة

1- نظرية التحليل النفسي:

ترجع هذه النظرية السلوك الصحية والغير صحية إلى الصراع الذي يتعرض له الفرد سواء على الصعيد الذاتي أو على الصعيد الخارجي مثلا يكون الاقبال الشديد على الطعام أو الشراهة أو العزوف عنه في تناول الغذاء، تعبر عن العدوانية الناتجة بشعور الفرد بإحباط ويرى فرويد أن العلاقة بين زيادة الشهية للطعام والسمنة إنما تعود إلى العوامل ترتبط بشخصية هؤلاء الأفراد وظروفهم العائلية وأسلوب تنشئتهم وتربيتم فاهتمام الآباء أو اهمالهم الزائد للأبناء له مضارة نفسية فنجد الابن يتجه إلى تناول الطعام بشراهة أو العكس وكأنها عملية تعويضية ويكون الطعام في هذه الحالة مصدر الارتواء الوحيد له أي أن التعويض يكون عن طريق الفم لأن في ذلك حلا لصراع الذي يعيشه الفرد.

2-نظرية التعلم الاجتماعي:

تتفق هذه النظرية مع النظرية السلوكية على أن السلوك الصحي يتكون نتيجة لعادات غذائية متعلمة، إلا أن أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي أشاروا إلى أن التعلم هذه العادات يكون عن طريق النمذجة.[1]

(1) سلوان فوزي عبد بقلي العبيدي، " **محاضرة علم الاجتماع الطبي**"، شبكة بابل، 2019/12/04، 19:30.

3-النظرية السلوكية:

يرى علماء النفس السلوكيين أن العادات الغذائية الخاصة يتعلمها الفرد وثبتت لديه عن طريق مبدأ التعزيز وهي تعتبر عن سوء توافق على الصعيدين النفسي والاجتماعي لذا يوصى أصحاب هذه النظرية بالتعديل السلوكي فيتعلم الفرد طرائق جديدة لتعديل سلوكه باستعمال آليات التعزيز الإيجابي والسلبي ويرى ستانكرد أن الانفعال والقلق يجعلان الفرد يمارس عادات غذائية خاطئة. [2]

خلاصة:

مما سبق أنه رغم الاهتمامات المتزايدة بالصحة ورغم التطور العلمي والتقني في المجال الطبي ومجال الصحة فالظاهرة مازالت شاسعة ولا زالت الصحة في تدهور لذا على الدولة أن توفر جميع الموفرات لمحافظة على الصحة، فالأمراض المنتقلة والضغوطات كذلك حاجزا على حماية الصحة، مما جعلنا أن نقول أن الاستفادة من العلاج والعدالة الاجتماعية يجب أن تشكل المبادئ الأساسية لأي سياسة وطنية في مجال الصحة.

(1) زينب حسن فليح الجبوري، " **أثر برنامج مقترح لتمرينات الاسترخاء لتخفيف الوزن والتقليل من عامل القلق**"، مجلة القادسية لعلوم التربية الرياضية، المجلد 12، 2012.

(2) المرجع نفسه، .